خواطر ورمـــوز

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١ — الطماع لا حد لها

تكتب يد بليدة ما رأته عين ضيقة فى الدنيا الواسعة ذات الأبواب التى لا عدد لها ، كتابة المتعجل الذى يريد أن يرى ويسجل قبل الرحلة التى لا رجعى بعدها هنا ...

ورحلتنا من هنا قد حملت كثيراً من الركب على أن يتخففوا ما استطاعوا ، وأن يمروا على أشياء الدنيا بالنظرة الخاطفة ، والخطرة العابرة، إيماناً بأن كل شيء هنا للفناء والعفاء ، فلا غناء فيه ولا وراء من أخذه فى الحس وتسجيله فى النفس والطرس بالتأمل والدرس

بيد أن كل هذه الأضواء الفانية ، والألوان الفاصلة ، والرؤى المتلاحقة ، والدنيا التى تمتلىء وتفرغ كل لحظة ... هى أحق شيء بالتسجيل وفتح الأعين الخفية عليها من غير إغماض أبداً

فلئن عشنا حياة أخرى ، وهو الموقن به فى إلهام الروح، والمحكوم به فى إثبات العقل ، فإن أمتع شيء لنا هناك أن نستعرض صورنا هنا يوم تمحي هذه الأرض من الوجود ولا تبقى إلا فى النفس الانسانية كمرحلة من مراحلها فى سيرها إلى غايتها المجهولة

ولكن الألفاظ ضيقة والدنيا واسعة والحياة سريعة السير . فلا أدرى هل أنا مستطيع أن آخذ فى ألفاظى الضيقة ما أريد أخذه حتى أشعر يوم يقبل اليوم النهائى أننى خارج من الدنيا ممتلىء الأوعية « بأفلام » طويلة كاملة الاخراج ؟

أنا فى إرهاق دائم بمطالب العيش ومشاكل الناس وضرورات الأبدان ... وإنما أنظر إلى ما أمام الستار وما وراءه ، فى فترات قصيرة كفترات الأحلام .

فما لى على إدراك هذا يدان ولا قدرة إلا أن يضاعف صاحب الحياة من قوى نفسى فيمدنى بعيون كثيرة وآذان كثيرة « وعدسات » كثيرة .

من لى بمن يدعجنى فى كل شيء حتى أتحدث عنه كأننى هو متحدثاً عن نفسه ؟ !

فيا أيتها الدنيا البُعْدَى ... ! اكشفى لى القناع واهتكى أستارك لتلك العين الضيقة التى أرمدها السهر على بابك، وولهها الدنو من رحابك ، حتى ما وراء الستار .

فان مبلغ علمى بدنياى أن أولها : أنا ... وثانيها الأرض ... وثالثها : السماء .. ورابعها : أنا غير الأولى .. وخامسها : هؤلاء جميعاً ! ...

فهات يا دنيا ! املئى يدى وفمى وكل وعاء فىّ ... إنى واقف أنتظر الكنوز الموعودة ... يداي ما زالتا مبسوطتين منذ أن عرفت ... وفمى فاغر إلى فوق ، . وعيناى كهفا ظلام لم تقنعا بما ينفذ اليهما من هذا الضوء الذى تراه أيضاً كل العيون الضالة فلا يهديها ...

٢ — والمحصول ؟

ولكن ...

هل فى الدنيا إلا طريق واحد تذهب فيه الأقدام ذاهلا وعرضاً على الشوك والحصى والغبار ، ثم تنتهى إلى الحفرة التى لا تشبع أبداً من الجثث والحطام ؟

وهل أنا عالم بذلك علم الذى ينظر الخواتيم دائماً فى المبادئ ؟

وهل لا يزال يزيغ حواسى ذلك البريق الخالب فأجري وراءه وأنا أعلم أنى أجرى إلى لا شيء ؟

أو لم أجرب العناوين وما وراءها ودنيا الألفاظ التى تضع الأسماء ليعيش الناس بها فقط ؟

وهل أذهب كما ذهب أكثر الناس غريق الوهم والسعى المُكْدِى إلى الأصفار التى غرنا منها أنها تمد أيضاً كما تمد الأرقام ؟

ما ذا وراء التراب المزوق يا أولى الألباب ؟ إملأوا منه أواعيكم ما شئتم ... !

ما ذا وراء التجارة بالألفاظ أيها الحكماء ؟ املأوا الصحف بها ما أردتم ... !

فليس فى الدنيا إلا يوم واحد تفرغه الشمس أضواء وظلاماً على أجسادنا فتبنيها ثم تبليها به ...

والأرض دائماً تقرع بالأقدام ... والصبح دائماً معه صوت الطير ... والليل دائماً معه نجومه ... والمحصول عدد لا نهائى من الأصفار !